

حوتيس



هو اسي

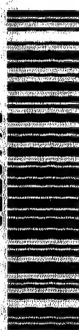
«صياغة نهائية»



دار الآداب



Bibliotheca Alexandrina



0112779

هذا هو اسي

هنا هو اسمي

أدونيس

هذا هو اسمي

- صياغة نهائية -

دار الآداب - بيروت

جميع الحقوق محفوظة

طبعة جديدة

١٩٨٨

إشارة

ترجمت هذه المجموعة إلى اللغة الفرنسية السيدة آن ويد
مينكوفسكي، ونشرت بعنوان «قبر من أجل نيويورك» (سندباد، باريس
١٩٨٦) وكانت قد نشرت للمرة الأولى بعنوان «وقت بين الرماد
والورد».

مقدمة لتاريخ ملوك الطوائف

وجه يافا طفلٌ هل الشجرُ الذابل يزهو؟ هل تدخل
الأرض في صورة عذراء؟ من هناك يرجّ الشرق؟
جاء العصف الجميلُ ولم يأتِ الخرابُ الجميلُ صوتٌ
شريدٌ...

(كان رأسٌ يهذي يهرجُ محمولاً ينادي أنا الخليفةُ).

هاموا حفروا حفرةً لوجهِ عليٍّ كان طفلاً وكان أبيض
أو أسود، يافا أشجاره وأغانيه ويافا.
تكدّسوا، مزّقوا وجهَ عليٍّ

دمُ الدبيحة في الأقداحِ ، قولوا: جبانّةُ،
لا تقولوا: كان شعري ورداً وصار دماءً،
ليس بين الدماء

والورد إلا خيط شمسٍ ، قولوا: رمادي بيتُ
وابنُ عبّادٍ يشحذ السيفَ بين الرأس والرأس
وابنُ جهورٍ ميتٌ.

لم يكن في البدايه
غير جذرٍ من الدمع أعني بلادي
والمدى خيطي - انقطعتُ وفي الحُضرَةِ العربيّة
غرقتُ شمسي الحَضارة نَقالةً، والمدينه
وردةٌ وثنيّة -
خيمه:

هكذا تبدأ الحكاية أو تنتهي الحكاية.
والمدى خيطي - اتّصلتُ أنا الفوهة الكوكبية
وكتبتُ المدينه
(حينما كانت المدينه مقطورةً والنواحُ
سورها البابلي)، كتبتُ المدينه

مثلما تنضحُ الأبدية
لا لِكِيّ الأم الجراحُ
لا لِكِيّ أبغثَ المومياة
بل لِكِيّ أبغثَ الفروق... الدماء
تجمعُ الورْد والغرابُ لِكِيّ أقطعَ الجسورُ
ولِكِيّ أغسلَ الوجوه الحزينه.
بتزييف العصور.
وكتبتُ المدينه

مثلما يذهب النبيُّ إلى الموت أعني بلادي
وبلادي الصّدي
والصّدي والصّدي . . .

كشفتُ رأسها الباءُ، والجيمُ خصلةُ شعرٍ، إنقرضُ إنقرضُ
ألفُ أولُ الحروف انقرضُ إنقرضُ
أسمعُ الهاءَ تنسجُ، والراءُ مثلُ الهلانِ
غارقاً ذائباً في الرمانِ
إنقرضُ إنقرضُ
يا دماً يتخثرُ يجري صحارى كلامٍ

يا دماً ينسجُ الفجيعة أو ينسجُ الظلامِ
إنقرضُ إنقرضُ
سحرُ تاريخك انتهى،
واعذري واعفري
يا قرونَ الغزالاتِ، يا أعينَ المها . . .

أحارُ، كلُّ لحظةٍ أراكِ يا بلادي
في صورةٍ،

أحملكِ الآنَ على جبیني، بین دمي وموتي : أنتِ مقبرة
أم وردة؟

أراكِ أطفالاً يُجرِّرونَ
أحشاءهم، يُصغونَ يسجدونَ
للقيد، يلبسونَ
لكلِّ سوطٍ جلدهُ... أمقبرة

أم وردة؟

قتلتني قتلتِ أغنياتي
أنتِ مجزرة
أم ثورة؟
أحار، كلَّ لحظةٍ أراكِ يا بلادي في صورة...

وعليُّ يسألُ الضوءَ، ويمضي
حاملاً تاريخهُ المقتولَ من كوخٍ لكوخٍ :

« علِّموني أنْ لي بيتاً كَبَيْتِي في أريحا
أنْ لي في القاهرة
إخوة، أنْ حدودَ الناصره
مكة... »

كيف استَحَالَ العلمُ قِيداً
والمدى نَارَ حِصَارٍ، أو ضَحِيَّة؟
ألهذا يَرْفُضُ التاريخُ وجهي؟
ألهذا لا أرى في الأفقِ شمساً عربيَّة؟

أو لو تعرف المَهْزَلَةُ
(سَمَّهَا خطبةُ الخليفةِ أو سَمَّهَا المهرجانُ)
ولها قائدانُ .
واحدٌ يَشْحَذُ المقصَلَةَ
واحدٌ يَتَمَرَّغُ . . . لو تعرف المَهْزَلَةُ
كيف، أينَ انْسَلَلْتُ
بين عُتُقِ الذَّبِيحِ ومَقْصَلَةِ الذَّابِحِينَ؟
كيف ماذا، قُتِلْتُ؟
كُنْتُ كالأخريْنَ، انتهيتَ
ولم تَنْتهِ المَهْزَلَةُ . .

كنتَ كالأخريْنَ - اَرْفُضِ الأَخريْنَ
بدأوا من هناكِ ابْتَدَىءُ من هُنا
حولِ طفلٍ يَمُوتُ
حولِ بَيْتٍ تَهْدُمُ فاستَعْمَرَتْهُ البيوتُ
وابْتَدَىءُ من هُنا

من أنين الشوارع من ريحها الخانقة
من بلادٍ يصير اسمها مقبره
وابتدىء من هنا
مثلياً تبدأ الفجيعة أو تُولد الصّاعقه
مُت؟ ها صرّت كالرعد في رَجَم الصّاعقه
بارئاً مثلياً تَبْرأ الصّاعقه
أنظر الآن كيف أنصهرت وكيف انبعثت، انتهيت ولم تنتهِ
الصّاعقه.

أعرف، كان ملكك الوحيد ظلّ خيمه، وكان فيها خرق،
ومرّة يكون ماء، مرّة رغيّف، وكان أطفالك يكبرون
في بُركه،

لم تيّاسِ انتفضت صرّت الحلم والعيون
تظهر في كوخٍ على الأردنّ أو في غَزّة والقدس
تقتحم الشارع وهو ماتم تتركه كالعرس
وصوتك الغامر مثل بحر
ودمك النافر مثل جبل
وحينما تحملك الأرض إلى سريرها
ترك للعاشق للأحق جدولين
من دمك المسفوح مرتين.

وجه يافا طفلٌ هل الشجرُ الذابلُ يزهو؟ هل تدخل
الأرضُ في صورةِ عذراءَ مَنْ هناك يرجُ الشرقُ
جاء العصفُ الجميلُ ولم يأتِ الخرابُ الجميلُ صوتُ
شريدٌ...

سقطَ الماضي ولم يسقطَ (لماذا يسقط الماضي ولا يسقط؟)
دالٌ قامَةٌ يكسرُها الحزنُ (لماذا يسقط الماضي ولا يسقط؟)
قافُ قابُ قوسين وأذنى
أطلبُ الماءَ ويعطيني رملاً
أطلبُ الشمسَ ويعطيني كهفاً

سيّد أنت؟ ستبقى
سيّداً. عبدٌ؟ ستبقى
هكذا يؤثرُ، يعطيني كهفاً وأنا أطلبُ شمساً، فلماذا سقط
الماضي ولم يسقط؟ لماذا هذه الأرضُ التي تنسلُ أياماً كئيبةً
هذه الأرضُ الرّتيبةُ.
سيّد أنت؟ ستبقى
سيّداً. عبدٌ؟ ستبقى
غيرَ الصورةِ لكن سوف تبقى غيرَ الرايةِ لكن سوف تبقى

... في خريطةٍ تمتدّ... إلخ، حيث يدخلُ السيّد المقيمُ
في الصفحة ١ راكباً حيواناً بحجم المشنقة، يتحوّل إلى تمثالٍ

ملء السباحات العامة . و (كانت) الحاكمة تغسل عجيزتها
وحولها نساء يدخلن في الرِّمَح ويمضغن بخور القصر والرجال
يسجلون دقات قلوبهن على زمن يتكوّم كالخرقة بين الأصابع
حيث

ك ترتجف تحت نواة رفضية بعمق الضوء
ت تاريخ مسقوف بالجثث وبخار الصلاة
أ عمود مشنقة مبلّل بضوء موحل
ب سكين تكشط الجلد الآدمي، وتصنعه نعلًا لقدمين سماويتين
في خريطة تمتد . . . إلخ .

شجرٌ يثمر التحول والهجرة في الضوء جالسٌ في فلسطين
وأغصانه نوافذٌ أصغينا لأبعاده قرأنا معه نجمة الأساطير
جند وقضاة يدحرجون عظاماً ورؤوساً، وآمنون كما يرقد حلمٌ
يهجرون، يُجرون إلى التيه . . .

كيف نبدأ؟

(- يكفيني رغيف، كوخٌ وفي الشمس ما يمنح فيثاً، لا
لستُ خوزة سيافٍ ولا ترس سيّد، أنا نهر الأردن استقرّد
الزهور وأغويها دمّ نازفٌ تبطّنت أرضي ودمي
ماؤها دمي وسيبقى ذلك الساهر النحيل: غبارٌ يمزج العاشق
المشرّد بالريح، ويبقى نسغ).

يتمتم طفل، وجه يافا

طفلُ هنا سقط الثائرُ حيفا تنُّ في حجرٍ أسودَ
والنخلةُ التي فيأت مريمَ تبكي همستُ في قلمي جوعُ
وفي راحتيّ تضطرب الأرضُ كشفنا أسرارنا (بُقع الدمع
طريقُ) أجسُّ حاصرة الضوء يجثَّ الصحراء والكونُ مربوطاً
بحبلٍ من الملائكِ هل تشهدُ آثار كوكبٍ، يسمع
الكوكبُ صوتي رويتُ عنه سأروي...
في زمن الرَّماد، شَخْصٌ رَمَى تاريخه لجمر أيا منّا، وماتَ
(لن تعرفَ حرّيةً ما دامت الدولة موجودةً).

تذكرُ؟ (والقاعدةُ

وسلطةُ العمال...) ما الفائده

تنحدرُ الثورة بعد اسمه

في لفظةٍ، تمتدّ في مائدهُ

هل تقرأ المائدهُ؟

كان فدائيُّ يخطُّ اسمه ناراً وفي الحناجر الباردة

يموتُ

والقدسُ تخطُّ اسمها:

لم تزل الدولة موجودةً

لم تزل الدولة موجودةً.

غيرَ أنَّ التَّهرَّ المذبوحَ يجري:

كلّ ماء وجه يافا
كل جرح وجه يافا
والملايين التي تصرخُ: كلّاً، وجه يافا
والأحباء على الشرفة، أو في القيد، أو في القبر يافا
والدمّ النَّازِفُ من خاصرة العالم يافا
سَمْنِي قيساً وسَمَّ الأرض ليلي
باسم يافا
باسم شعبٍ يرفع الشمس تحيةً
سَمْنِي قنبلةً أو بندقيّةً . . .
هذا أنا: لا، لستُ من عصر الأفول
أنا ساعة الهتك العظيم أتت وخلخلتُ العقول
هذا أنا - عبرتُ سحابه
حبلي بزوبعة الجنون
والتيه يمرق تحت نافذتي، يقول الآخرون:
ماذا يقول الآخرون؟

(- يرعى قطيع جفونه
يصل الغرابة بالغرابة).

هذا أنا أصلُ الغرابة بالغرابة
أرّختُ: فوق المثلث
قمر يسوس الأحصنة

وينام بين يديّ تميمه
 وذكرْتُ: بَقَعَتِ الهزيمه
 جَسَدَ العصورِ
 وَهَرَانُ مثل الكاظميه
 ودمشق بيروت العجوز
 صحراءُ تزدردُ الفصول، دُمُ تعقَنَ - لم تعد نارُ الرموزِ
 تُلد المدائن والفضاء، ذكرتُ لم تكن البقيّة
 إلا دماً هَرماً يموتُ يموتُ بَقَعَتِ الهزيمه
 جَسَدَ العصورِ.

. . . في خريطة تمتدّ إلخ، حيث تتحول الكلمة إلى نسيجٍ
 تعبرُ في مسامه رؤوسُ كالقطن المنفوش، أيامٌ تحمل أفخاداً
 مثقوبةً تدخل في تاريخٍ فارغٍ إلا من الأظافر، مثلثاتُ
 بأشكال النساء تضطجع بين الورقة والورقة؛ كلُّ شيء يدخل
 إلى الأرض من سُمّ الكلمة، الحشرةُ الله الشاعر.

بالوخز والأرق وحرارة الصّوت، بالرّصاص والضوء،
 بالقمر ونملة سليمان، بحقولٍ تثمر لافئاتٍ كتب عليها «البحث
 عن رغيف» أو «البحث عن عجيزة لكن استتروا» أو «هل
 الحركة في الخطوة أم في الطريق؟».

والطريقُ رملٌ يتفوّسُ فوقه الهواءُ والخطوةُ زمنٌ أملس
كالحصاة . . .

وكان الوقت يشرف أن يصبح خارج الوقت وما يُسمّونه
الوطن يجلس على حافة الزمن يكاد أن يسقط، «كيف يمكن
إمساكه؟» سأل رجل مقيد وشبه ملجوم.

لم يجئه الجواب لكن جاءه قيدٌ آخر وأخذ حشدٌ كمسحوق
الرمل يفرز مسافةً بحجم لام ميم ألف أو بحجم صغ ي هـ
ك ويسير فيها ينسج راياتٍ وبُسْطاً وقباباً ويبني جسراً يعبر عليه
من الآخرة إلى الأولى . . .

حيث عبرت ذبابةً وجلست على الكلمة، لم يتحرك حرف،
طارت وقد استطال جناحها عبرَ طفلٍ وسأل عن
الكلمة طلّع في حنجرته شكٌّ وأخذ الخرس يدبّ إلى
لسانه . . .

في خريطةٍ تمتد . . . إلخ، حيث
«العدوّ يطغى وهم يخسرون، ويمدّ وهم يَجْزُرُونَ،
ويطول وهم يَقْصُرُونَ، إلى أن عادوا إلى علمٍ ناكسٍ،
وصوتٍ خافت، وأنشغل كلّ ملكٍ بسدّ فتوقه،
. . . وعندما يجدّ الجِدُّ ويطلب الأندلس عَوْنَ الملك
الصالح لاستخلاص إقليم الجزيرة، وقد سقط في أيدي

الأسبان ، يكتفي بالأسف والتعزية ويقول بأن الحرب سجالٌ
وفي سلامتكم الكفاية ، . . . ولم يزل العدو يواثبهم
ويكافحهم ويُغادِيهم القتالَ ويراوحهم حتّى أجهضهم عن
أماكنهم وجفّلهم عن مساكنهم ، وأركبهم طبقاً عن طبق
واستأصلهم بالقتل والأسر كيفما اتفق . . . » .

في خريطة تمتد . . . إلخ ،

رفض التاريخ المعروف الذي يطبخ فوق نار السلطان أن
يذكر شاعراً . . . والبقية آتية ،

في خريطة تمتد . . . إلخ .

يأتي وقت بين الرماد والورد

ينطفئ فيه كل شيء

يبدأ فيه كل شيء .

. . . وأغني فجيعتي ، لم أعد الملح نفسي إلا على طرف

التاريخ في شفرة سابدأ ، لكن أين ؟ من أين ؟ كيف

أوضح نفسي وبأي اللغات ؟ هذي التي أضع منها نخوئي

سأزكيها وأحيا على شفير زمان مات ، أمشي على شفير زمان لم

يجيء .

غير أنني لست وحدي

... ها غزالُ التاريخ يفتحُ أحشائي نهرُ العبيد
يهذرُ، يجتاحُ اكتشفنا ضوءاً يقود إلى الأرض، اكتشفنا شمساً
تجيء من القبضة، هاتوا فؤوسكم نحملُ الماضي كشيخٍ
يموت، نستشرفُ الآتي، هيأماً ورغبةً.

لست وحدي

... وجه يافا طفلٌ هل الشجر الذابل يزهو؟ هل
تدخل الأرض في صورة عذراء؟ من هناك يرجّ
الشرق؟ جاء العصفُ الجميل ولم يأت الخراب الجميل

صوتٌ شريدٌ..

خرجوا من الكتب العتيقة حيث تهترىء الأصول
وأثوا كما تأتي الفصول
حُضنَ الرمادُ نقيضه
مَشَتِ الحقولُ إلى الحقول:

لا، ليس من عصر الأفول
هو ساعة الهتك العظيم أنت، واخلخله العقول.
(بيروت، خريف ١٩٧٠).

هذا هو اسمي

ماحياً كل حكمةٍ هذه ناري
لم تبقَ - آيةٌ - دمي الآيةُ
هذا بدئي

دخلتُ إلى حوضكِ أرضُ تدور حولي أعضاؤك
نيلٌ يجري طَقَوْنَا ترسبنا تقاطعت في دمي قطعتُ
صدركِ أمواجي أنهصرتِ لنبدأ : نسيَ الحبُّ شفرةَ الليل هل
أصرخُ أنَّ الطوفان يأتي؟ لنبدأ : صرخةٌ تعرج المدينة
والناسُ مرايا تمشي إذا عبرَ الملحُ التقينا هل أنتِ؟
- حبيّ جرحُ

جسدي وردةٌ على الجرح لا يُقَطَفُ إلا موتاً. دمي عُصْنُ
أسلم أوراقه استقرَّ. . .

هل الصخرُ جوابٌ؟ هل موتكِ السيدُّ النائم يُغوي؟ عندي
لشديكِ هالاتٌ ولوعٍ لوجهكِ الطفل وجهٌ مثله . . . أنتِ؟
أجدكِ.

وهذا لهبي مَاحِياً
دخلتُ إلى حوضكِ عندي مدينةٌ تحت أحزاني
عندي ما يجعل الغُصنَ الأخضرَ ليلاً والشمسَ عاشقةً سوداءَ
عندي . . .

تقدّموا فقراءَ الأرض غطّوا هذا الزّمانَ بأسمالٍ ودُمعٍ
غطّوه بالجسدِ الباحثِ عن دِفْئِهِ . . . المدينةُ أقواسُ جُنُونٍ
رأيتُ أن تلدَ الثورةُ أبناءَها، قبرتِ ملايينَ الأغاني وجثتُ
(هل أنتِ في قبري)؟ هاتي المسَّ يدِكِ اتبعيني .

زَمَنِي لم يَجِءْ ومقبرةُ العالمِ جاءتْ عندي لكل
السلّاطينِ رمادٌ هاتي يدِكِ اتبعيني . . .
قادرٌ أن أُغَيِّرَ: لُغْمُ الحضارةِ - هذا هو اسمي
(لافتة)

. . . وقفتُ خطوةَ الحياةِ على بابِ كتابٍ محوتهِ بسؤالاتي
ماذا أرى؟ أرى ورقاً قليلَ استراحت فيه الحضاراتُ (هل
تعرف ناراً تبكي؟) أرى المثةِ اثنين أرى المسجدَ الكنيسةَ
سيّافين والأرضَ وردةً .

طار في وجهي نَسْرٌ قدّستُ رائحةَ الفوضى
ليأت الوقتُ الحزينَ لتستيقظَ شعوبُ اللهبِ والرّفصِ

صخرايَ تنمو أحببتُ صفصافةً تحتارُ بُرجاً يتيهُ مِثْدنةُ
تهرمُ أحببتُ شاعراً صَفَّ لبنانُ عليه أَمعَاءُهُ في رسومٍ ومرايا
وفي تماثِمَ

قلتُ الآن أُعطي نفسي لهاوية الجنس وأعطي للنار فاتحة
العالم قلتُ استقرَّ كالرمح يا نيرون في جبهة الخليفة روما كلُّ
بيتِ روما التخيلُ والواقع روما مدينةُ الله والتاريخ قلتُ استقرَّ
كالرمح يا نيرون . . .

لم آكل العشيَّة غير الرَّمْلِ ، جوعي يدورُ كالأرضِ أَحجارُ
قصورٍ هياكلُ أتَهَجَّأها كخبزٍ رأيتُ في دمي الثالثِ عيني
مُسافرٍ مزج الناسَ بأَمواج حليمه الأبدِي
حاملاً شَعْلَةَ المسافات في عَقْلٍ نبيٍّ وفي دمٍ وَخْشِيَّ .

. . . وعليَّ رَمَوْهُ في الحبِّ غَطُّوهُ بقشٍّ والشمس تحمل
قتلاها وتمضي هل يعرف الضوءُ في أرض عليٍّ
طريقَهُ؟ هل يُلاقينا؟ سمعنا دماً رأينا أنينا .

سنقول الحقيقة : هذي بلادُ
رفعت فخذها
رايةً . . .

سنقول الحقيقة : ليست بلاداً
هي إصطبلنا القمريّ
هي عكّازة السلاطين سجّادةُ النبيّ
سنقول البساطة : في الكون شيءٌ يسمّى الحضور وشيءٌ
يُسمى
الغياب نقول الحقيقة :
نحن الغيابُ
لم تلدنا سماءٌ لم يلدنا ترابُ
إننا زَبْدٌ يتبحّرُ من نَهَرِ الكلماتِ
صدأٌ في السماء وأفلاكها
صدأٌ في الحياة!
(منشور سري)

وطني في لا جىء

وليكن وجهي فيئا!

دهرٌ من الحجر العاشق يمشي حولي أنا العاشق الأول
للنار

تجبلُ النار أيامي نارٌ أنشَى دَمٌ تحت نهديها صليلٌ
والإبطُ آبارُ دمعٍ نهرٌ تائهٌ وتلتصق الشمس عليها كالشوبِ
تزلقُ جرحٌ قرعته وشعشعته بباؤٍ وبهارٍ (هذا جنينك؟)
أحزاني ورُدُّ.

دخلتُ مدرسة العشب جيني مُشققٌ ودمي يخلع سلطانه:
تساءلتُ ما أفعلُ؟ هل أحزم المدينة بالخبز؟ تناثرتُ في
رواقٍ من النار اقتسمنا دَمَ الملوك وجعنا
نحمل الأزمه
مازجين الحصى بالنجوم
سائقين الغيوم.
كقطيعٍ من الأحصنه.

قادر أن أغير: لغم الحضارة - هذا هو اسمي

الأمة استراحت

في غسل الرباب وانه حراب
حصنها الخالق مثل خندق
وسله.

لا أحد يعرف أين الباب
لا أحد يسأل أين الباب.

(منشور سري).

... وعلي رموه في الجب كان الجمر ثوباً له اشتعلنا
تمسكنا بأشلائه اشتعلت مساء الخير يا وردة الرماد
علي وطن ليس لاسمه لغة ينزف نفياً ويثبت العشب والماء
علي مهاجر.

أين يغفو سيد الحزن كيف يحمل عينيه؟ سمائي مخنوقة
كيفي تهبط والأرض خوزة ملئت رملاً وقشاً هلعت أركض
غطتني سنووة نهضت لهيباً ناهداها نهضت أفتح شباكاً:
حقول خضر أنا الفاتح الآخر والأرض لعبة فرس تدخل في
الغيم.

يخرج الشجر العاشق غصن يهزني اثبجس الماء انتهى
زمن الناس القديم ابتدأت وجهي مدارات وفي الضوء ثورة.

أيقظتني قرية في مهبِّه
 انكسر الصمت
 احتضني يا خالق التعب امنحني أراجيحك امتحني أنا
 الصخرة والبحث والسؤال ولا عيْد ولا موقْد أنا الشَّبح الراصدُ
 في فجوة المدينة والناس نيامٌ دخلتُ في شَرَك الضوء
 نقياً كالْعنْف أسطعْ كاليه خفيفاً أطرافِي البرق أطرافِي رياحُ
 منحوتةٌ ليس عظمي طعمَ تاجٍ أو فضةٌ لستُ مُلكاً ودمي هجرةُ
 السماء وعيناي طيورٌ يُقال جلدك شوكٌ لثمتُ ولتكن
 سمائي من جلدك صفراء قيل جلدك دهرٌ راسبٌ في قزارة
 الحلم

ولتولد حيرابُ الوقعة الأبدية

بيننا حفرة انهدامٍ وصوتي

هذيانُ المغير يكسر عكاز الأغاني ويقلم الأبدية

... والنساء ارتحنَ في مقصورة

يستعجنُ الكتبَ المستنزلة

ويحولنُ السماء

دميةً أو مقصلة

وعليّ فاتحٌ أحزانه

لبهاليل الشقاء

للذين استنسروا وانكسروا...

وعليّ لهبٌ

ساحرٌ مشتعلٌ في كلِّ ماءٍ
عاصفاً يجتاحُ - لم يترك تراباً أو كتاباً
كَنَسَ التاريخُ غطًى
بجناحيه النهارُ
سرّه أنَّ النهار
جُنَّ

هذا زمنُ الموتِ، ولكن
كلَّ موتٍ فيه موتٌ عربيٌّ
تسقط الأيامُ في ساحاته
كجذوع الأرزة المكتهلة
إنه آخرُ ما غنّى به
طائرٌ في غابةٍ مشتعله

وطني راكضٌ ورائي كنهٍ من دمٍ جبهة الحضارة
قاعٌ طحليُّ لملت تاجاً تقمّصتُ سراجاً هامت
دمشقُ حنّت بغدادُ سيفُ التاريخِ يُكسّرُ في وجهه بلادي
مَنْ الحريقُ مَنْ الطوفانُ؟

كنتِ الصحراءُ حينَ أسرتُ الثلجَ فيكِ انشطرتُ مثلكِ رملأً
وضباباً صرختُ أنتِ إلهٌ لأرى وجهه لأمحو ما يجمع بيني
وبينه قلتُ جاسديك أنتِ الشيقُ المليءُ بأمواجي أنا الليلُ

حافياً حين أدخلتك في سُرَّتِي تناسلت في خطوي طريقاً
 دخلت في مائي الطفل استضيئي تأصلي في متاهي
 خدرٍ مثمرٍ يعرّش حول الرأس حلمٌ تحت الوسادة أيامي
 ثقبٌ في جيبي اهترأ العالمُ حواء حائلٌ في سراويلي
 أمشي على جليدٍ
 ملذّاتي أمشي بين المحير والمعجز أمشي في وردة

زهراتُ اليأس تذوي والحزن يصدأ جيشٌ من وجوه
 مسحوقٍ يعبر التاريخ جيشٌ كالخيط أسلم واستسلم ، جيشٌ
 كالظلّ أركض في صوت الضحايا وحدي على شفة
 الموتِ كقبرٍ يسيرُ في كرة الضوء .

انصهرنا دُمُ الأحياء كالأهداب يحمي سمعتُ نبضك في
 جلدي (هل أنت غابة؟) سقط الحاجزُ (هل كنتِ حاجزاً؟)
 سأل النورس خيطاً في البحر يغزله الربانُ غنى ثلج المسافر
 شمساً لا يراها (هل أنت شمسي؟) شمسي ريشة تشرب
 المدى سمع الضائع صوتاً (هل أنت صوتي؟) صوتي زمني
 نبضك الشهي ونهداك سوادي وكل ليلٍ بياضي
 زحفت غيمة فأسلمت للطوفان وجهي ونهت في أنفاضي . . .

هكذا أحبيتُ خيمه

وجعلت الرَّمْلَ في أهدابها
 شجراً يُمْطَرُ والصحراء غيمَةً
 قلتُ: هذي الجُرَّةُ المنكسرة
 أمة مهزومة، هذا الفضاء
 رَمَدٌ. هذي العيونُ
 حُفَرٌ. قلت الجنون
 كوكبٌ مختبئٌ في شجره.
 سأرى وجه الغرابِ
 في تقاطيع بلادِي، وأسمي
 كَفَنًا هذا الكتابُ
 وأسمي جيفةً هذي المدينة
 وأسمي شجرَ الشام عصافير حزينه
 (ربما تولدُ بعد التَّسمية
 زهرة أو أغنية)
 وأسمي قمرَ الصحراء نخلة
 ربما استيقظت الأرض وعادت
 طفلةً أو حلمَ طفلة
 لم يعد شيءٌ يغني أغنياي:
 سيجيء الرافضونُ
 ويحيي الضوء في ميعاده...

لم يعد غيرُ الجنونِ
هل لتاريخي في ليلك طفلُ
يا رمادَ المدفأه
غضبُ الثورة جمرُ عاشقٍ
وأغانيَّ امرأةٍ:
هل لتاريخي في ليلك طفلُ؟

ألغبارُ الترابيِّ في العظم أَلجأ؟ هل يُلجئُ الغبارُ؟
لا مكانٌ ولا ينفع الموتُ... هذا دُوارُ
من يرى جثَّةَ العصور على وجهه ويكبو لا جِراكِ
يحسُّ الكهولَه
حُلْمَه للطفولَه

قادرٌ أنْ أُغَيِّرَ: لُغْمُ الحضارة - هذا هو اسمي

عُدْ إلى كهفك التواريخُ أسرابُ جرادٍ، هذا التاريخُ
يسكن في حضنِ بغيٍّ يجترُّ يشهقُ في جوفِ أتانٍ ويشتهي عَفَنَ
الأرضِ ويمشي في دُودَةٍ عُدْ إلى كهفك واخفض عينيكِ
ألمحِ كَلِمَه

كلنا حولها سرابٌ وطينٌ لا امرؤُ القيس هزَّها والمعريُّ

طفُلُها وانحنى تحتها الجُنَيْدُ انحنى الحلاج والتَّقْري
 روى المتنبّي أنها الصَّوت والصَّدى أنتَ مملوكُ
 هي المالكُ

وهي الملاكُ ترتسمُ الأمة فيها كبذرةٍ
 عُدْ ألى كهفكُ

ماذا؟ نفوه أو قتلوه؟

قتلوه... لا لن أحدث عن موت صديقي: زيفٌ من الزَّهرِ
 الأصفر حولي لكن سأكتب عن آخر غصنٍ في أرزةٍ
 البيت عن رفٍّ يمامٍ يجرّ سجّادة الليل عن الحلمِ عالياً
 كُروجٍ.

قتلوه لا لن أفوه بأسماء شهودٍ أو قاتلين ولن أبكي
 سأبكي لأمةٍ ولدت خرساءً للتمّ حاضناً زرقة الشيطان يبكي:
 لِمَ البكاء على طفلٍ على شاعرٍ؟ سأكتب عن آخر فمٍ
 لأرزة البيت عن رفٍّ حمامٍ يجرّ سجّادة الليل عن الحلمِ عالياً
 كجبالٍ.

وضعَ السيد الخليفة قانوناً من الماءِ شعبه المرقُّ الطينُ
 سيوفٌ مصهورةٌ وضع السيد تاجاً مُرصعاً بعيون الناسِ
 هل هذه المدينة آيٌ؟ هل ثياب النساء من ورق المصحفِ
 أدخلت محجري

في مضيقٍ حفرتَه الساعاتُ ساءلت هل شعبي نهرُ بلا مصبٍ؟
أغني

لُغَةُ النصلِ أصرخُ انقلب الدهر وطاحت جذرائه
بين أحشائي تقيّات لم يعد لي تاريخٌ ولا حاضرٌ
أنا الأرقُ الشمسيُّ والفوهة الخطيئة والفعلُ انتظرني يا
راكب الغيم أشياءي تغوى والشمس تجبط أطرافي أنا
الساكن المدى والمزامير أنا الغصنُ لاجئاً: أصغِ هل تسمع هذا
النواح في كبد العالم؟ أصغي للموت بين
تجاعيدي هذيّنا

هذيت كي أحسن الموت اصطفتِ النهدين بين تقاليدي
هل جلدك السقوط هل الفخذان جرحٌ ملأته التأم
العالم هل أنت مقلع الليل في جلدي؟ فاسي مسنونة
صرتُ نبعاً آخراً ضيقتي تسيل ذراعاك اغتراف قوس حملتك
وجهي صخب طائر تقاسمه الصوت اسأليني أجب...
تكلم جفّر رصدتني خيوله انطقاً الهمسُ (أعندي أعندك الآن
ما يهمس؟) ناراً ملجومة سفنٌ تجنح بحر مروض
فتح النورس عينيه أغلقتني نسي الفتحة في
ريشه المشعث ماءً وشراراً لو كان لو عرف الرعد لو
الرعد في يدي
هذوءاً هذه قبةً وسكنائي في فوهة نهدي أظل أحفر لو

غَيَّرْتُ لَوْ غَيْرَ الْغُبَارِ عَذَارَاهُ لَوْ النَّارُ هَمْزَةٌ . . .
 ذُبْتُ فِي جَنْسِي جَنْسِي بِلَا حَدُودٍ وَلَا سَيْفٍ تَلَاشِي لَأَيْتِي
 تَلَاشَيْتُ وَجْهَ وَاحِدٍ نَحْنُ لَا قَمِيصِي تَفَاحٌ وَلَا أَنْتِ جَنَّةُ نَحْنُ
 حَقْلٌ وَحَصَادٌ وَالشَّمْسُ تَحْرُسُ أَنْضَجْتُكَ جَيْشِي مِنْ ذَلِكَ
 الْطَرَفِ الْأَخْضَرِ هَذَا قَطَافَنَا جَسَدَانَا زَارِعٌ حَاصِدٌ
 وَحِيدَةٌ أَعْضَائِي جَيْشِي مِنْ ذَلِكَ الطَّرَفِ اسْتَحْضَرْتُ
 مَوْتِي وَسَلْسَلِيْنِي مَلَكْنَا جَمْرَةَ الْوَقْتِ وَالْحَنِينِ مَلَكْنَا رَغْدَ الْكُونِ
 وَهُوَ يَلْتَحِفُ النَّاسَ اهْتَدِينَا . . .
 قَرَأْتُ فِي وَرَقٍ أَصْفَرَ أَتَيْتُ أَمُوتَ نَفِيًّا تَنْوَرْتُ الصَّحَارَى
 شَعْبِي يَشْطُ . . . نَبَشْنَا كَلِمَاتٍ دَفِينَةً طَعَمَهَا طَعْمُ
 الْعَذَارَى . . . دَمَشَقُ تَدْخُلُ فِي ثَوْبِي خَوْفًا حَبًّا تَخَالِطُ
 أَحْشَائِي تَلْغُو . . .
 لَفْظْتُ جِلْدِي خَلِيَّ شَفْتَيْكَ أَصْهَرِيْهُمَا بَيْنَ أَسْنَانِي أَنَا اللَّيْلُ
 وَالنَّهَارُ أَنَا الْوَقْتُ أَنْصَهَرْنَا تَأْصَلِي فِي مَتَاهِي . . .

هَكَذَا أَحْبَبْتُ خِيَمَهُ
 وَجَعَلْتُ الرَّمْلَ فِي أَهْدَابِهَا
 شَجَرًا يَمْطُرُ وَالصَّحْرَاءُ غِيَمَةٌ
 وَرَأَيْتُ اللَّهَ كَالشَّحَاذِ فِي أَرْضِ عَلِيٍّ
 وَأَكَلْتُ الشَّمْسَ فِي أَرْضِ عَلِيٍّ

وخبزت المثلثة
ورأيت البحر يأتي في ضباب المدخنة
هائجاً يهمس :
مَنْ كُوننا
لم يكن تكوينه إلا سقيفة
رجّها الإعصار فانهارت وصارت
خشباً يَحْرِقُ في دار خليفه .
نادرُ أن ينطقَ البحرُ ولكن
نطقَ البحرُ : يبسنا
يبس التاريخ من تكراره
في طواحين الهواء
سقط الخالق في تابوته
سقط المخلوق في تابوته . .
والنساء ارتحن في مقصوره
يتشعلن الليل من آباره
ويُخيطن السماء
ويغنين : عليُّ لهبٌ
ساحرٌ مشتعلٌ في كل ماء
ويسائلن السماء :
نجمةٌ أو مومياء

هذه الأرضُ؟
ويفتقنَ السَّماءَ
ويرقُّعن السماءَ
قَبْرَ الدَّجَالِ في عينيه شعباً
نَبْشَ الدَّجَالِ من عينيه شعباً
وسمعناه يصليُّ فوقه
ورأيناه يَحْيِيهِ ويَجْثُو
ورأينا
كيف صار الشعب في كَفِّهِ ماء
ورأينا
كيف صار الماء طاحونَ هواءٍ.
جزُرٌ للهب تصعدُ فيها آسيا يصعدُ الغدُ انطفأت
شمسٌ حلمنا بغير ما هجسَ الليل نهاري يقاسُ
باللهب استصرختُ صوتُ الشعوب يفتتحُ الكونَ
ويُغوي

لست الرماد ولا الريح

سريري أشهى وأبعدُ أقفاصُ دروبُ مهجورةُ
فرسُ الماضي رمادُ وصبغةُ الله لونُ آخرُ
لا يدُ عليّ

عليّ أبدأ النار والطفولةِ هل تسمع برق العصور
تسمع آهاتِ خطاها؟ هل الطريقُ كتابُ أويْدُ؟ اصبعُ
الغبار كدرويشٍ يغني ملكَ الأساطير هاتوا وطناً قربوا
المدائن هزّوا شجر الحلم غيروا شجر النوم كلامَ السماء
للأرضِ

طفلُ تائه تحت سرّة امرأة سوداء بحثاً

طفل يشبُّ

وللأرضِ إلهٌ أعمى يموت . . .

سَلامٌ

لوجوو تسير في وحدة الصحراء للشرق يلبس العشب
والنارَ سلامٌ للأرض يغسلها البحر سلامٌ لحبّها . . .
عُرْيِكَ الصاعقُ أعطى أمطاره يتعاطاني رعدٌ في نهدي
اختمرَ الوقتَ تقدّمَ هذا دمي ألّقُ الشرقَ اغترفني وغِبْ
أضِيعني لفخذيك الدويّ البرقَ اغترفني تبطنُ جسدي
ناريّ التوجّه والكوكب جرحي هدايةً أتهجّي . . .
أتهجّي نجمةً أرسّمها
هارباً من وطني في وطني
أتهجّي نجمةً يرسمها
في خطى أيامه المنهزمه
يا رماد الكلمة
هل لتاريخي في ليلك طفلٌ؟

لم يَعدُ غيرُ الجنون

إنني ألمحُ الآنَ على شبَّاكِ بيتي
ساهرًا بينَ الحجارِ الساهرِ
مثلَ طفلٍ علَّمته الساحرِ
أنَّ في البحرِ امرأه
حمَلتُ تاريخه في خاتمِ
وستأتي
حينما تخمدُ نارُ المدفأهِ
ويذوبُ الليلُ من أحزانه
في رمادِ المدفأهِ . . .

. . . ورأيت التاريخَ في رايةِ سوداءِ يمشي كغابةٍ
أورَّخَ عائشٌ في الحنينِ في النارِ في الثورةِ في سحرِ سُمَّهِ
الخلَّاقِ

وطنِي هذه الشرارة، هذا البرقُ في ظلمةِ الزمانِ الباقي . . .

(أوائل كانون الثاني، ١٩٦٩)

قبر سن أجل نیویورک

- ١ -

حتى الآن، تُرسم الأرض إحصاءً
أعني ثدياً

لكن، ليس بين الثدي والشاهدة إلا حيلة هندسية :

نيويورك،

حضارة بأربع أرجل ؛ كل جهة قتل وطريق إلى القتل،
وفي المسافات أنين الغرقى .

نيويورك،

امرأة - تمثال امرأة

في يد ترفع خرقه يسميها الحرية ورق نسيم التاريخ
وفي يد تخنق طفلة اسمها الأرض

نيويورك،

جسد بلون الإسفلت . حول خاصرتها زئار رطب ، وجهها
شباك مغلق . . . قلت : يفتحه وولت ويتمان - « أقول كلمة

السر الأصلية» - لكن لم يسمعها غير إله لم يعد في مكانه .
السجناء ، العبيد ، البائسون ، اللصوص ، المرضى يتدفقون
من حنجرتهم ، ولا فتحة ، لا طريق . وقلت جسر بروكلين !
لكنه الجسر الذي يصل بين ويتمان و وول ستريت ، بين
الورقة - العشب والورقة - الدولار . . .

نيويورك - هارلم ،

مَنْ الآتي في مقصلة حريق ، مَنْ الذاهب في قبر بطول
الهدسون ؟ انفجر يا طقس الدمع ، تلاحمي يا أشياء التعب .
زرقة ، صفرة ، ورد ، ياسمين والضوء يسنّ دبابيسه ، وفي
الوخز تولد الشمس . هل اشتعلت أيها الجرح المختبئ بين
الفخذ والفخذ ؟ هل جاءك طائر الموت وسمعت آخر
الحشجة ؟ حبل ، والعنق يجلد الكآبة وفي الدم سويداء
الساعة . . .

نيويورك - ماديسون - بارك افينيو - هارلم ،

كسل يشبه العمل ، عمل يشبه الكسل . القلوب محشوة
إسفنجاً والأيدي منفوخة قصباً . ومن أكداش القذارة وأقنعة
الامبايستيت ، يعلو التاريخ روائح تتدلى صفائح صفائح :
ليس البصر أعمى بل الرأس ،

ليس الكلام أجردَ بل اللسان .

نيويورك - وول ستريت - الشارع ١٢٥ - الشارع الخامس

شبحٌ ميدوزيُّ يرتفع بين الكتف والكتف . سوق العبيد من
كل جنس . بشرٌ يحيون كالنبات في الحداثق الزجاجة .
بائسون غير منظورين يتغلغلون كالغبار في نسيج الفضاء -
ضحايا لولبية ،

الشمس مأتمٌ
والنهار طبلٌ أسود .

- ٢ -

هنا،
في الجهة الطحليّة من صخرة العالم، لا يراني إلا زنجي
يكاد أن يُقتل أو عصفور يكاد أن يموت، فكّرت :
نبته تسكن في أصيص أحمر كانت تتحول وأنا أبتعد عن
العتبة، وقرأت :
عن فتران في بيروت وغيرها ترفل في حرير بيت أبيض، تتسلح
بالورق وتقرض البشر،
عن بقايا خنازير في بستان الأبجدية تدوس الشعر،
ورأيت :

أيّما كنت -

بتسبورغ (أنثروناشينا بويتري فورم)،
جون هوبكنز (واشنطن)، هارفارد
(كامبردج، بوسطن)، آن آربر (ميشيغن،
ديترويت)، نادي الصحافة الأجنبية،
النادي العربي في مقر الأمم المتحدة
(نيويورك)، برنستون، تمبل
(فيلادلفيا)،

رأيتُ

الخريطة العربية فرساً تجرر خطواتها والزمن يتهدّل كالخروج
نحو القبر أو نحو الظل الأكثر عتمة، نحو النار المنطفئة أو
نحو نار تنطفئ؛ تكتشف كيمياء البعد الآخر في كركوك
الظهران وما تبقى من هذه القلاع في أفراسيا العربية. وها هو
العالم ينضج بين أيدينا. هه! نهىء الحرب الثالثة، ونقيم
المكاتب الأولى والثانية والثالثة والرابعة لتؤكد:

- ١ - في تلك الناحية حفلة جاز،
- ٢ - في هذا البيت شخصٌ لا يملك غير الحبر،
- ٣ - في هذه الشجرة عصفور يغني.

ولنعلم:

- ١ - الفضاء يقاس بالقفص أو بالجدار،
- ٢ - الزمن يُقاس بالحبل أو بالسوط،
- ٣ - النظام الذي يبني العالم هو الذي يبدأ بقتل الأخ،
- ٤ - القمر والشمس درهمان يلمعان تحت كرسي السلطان،

ورأيتُ

أسماء عربية في سعة الأرض أكثر حنوّاً من العين، تُضيء
لكن كما يضيء كوكبٌ مشرّد «لا أسلاف له وفي خطواته
جدوره...».

هنا،

في الجهة الطحلبية من صخرة العالم أعرف، أعترف. أذكر
نبته أسميها الحياة أو بلادي، الموت أو بلادي - ريحاً تجمد
كالملاءة، وجهاً يقتل اللعب، عيناً تطرد الضوء، وأبتكر
ضدك يا بلادي،

أهبط في جحيمك وأصرخ:
أقطر لك إكسيراً ساماً وأحييك،
وأعترف: نيويورك، لك في بلادي الرّواق والسريّر، الكرسي
والرأس. وكل شيء للبيع: النهار والليل، حجر مكّة وماء
دجلة. وأعلن: مع ذلك تلهثين - تسابقين في فلسطين، في
هانوي، في الشمال والجنوب، الشرق والغرب، أشخاصاً لا
تاريخ لهم غير النار،

وأقول: منذ يوحنا المعمدان، يحمل كلُّ منا رأسه المقطوع
في صحنٍ، وينتظر الولادة الثانية.

- ٣ -

تفتّي يا تماثيل الحرية ، أيتها المسامير المغروسة في الصدور
 بحكمة تقلّد حكمة الورد . الريح تهبّ ثانية من الشرق ،
 تقتلع الخيام وناطحات السحاب . وثمة جناحان يكتبان :
 أبجدية ثانية تطلع في تضاريس
 الغرب ،
 والشمس ابنة شجرة في بستان القدس .
 هكذا أضرم لهبي . أبدأ من جديد ، أشكل وأحدّد :

نيويورك ،
 امرأة من القشّ والسرير يتأرجح بين الفراغ والفراغ ، وها هو
 السقف يهترى : كل كلمة إشارة سقوط ، كل حركة رفش أو
 فأس . وفي اليمين واليسار أجساد تحب أن تغير الحبّ النظّر
 السمع الشمّ اللمس والتغيّر - تفتح الزمن كبوابة تكسرهما
 وترتجل الساعات الباقية .

الجنس الشعر الأخلاق العطش القول الصمت وتنفي
 الأقفال . قلت : أغري بيروت ،

- «إبحث عن الفعل . ماتت الكلمة» ، يقول آخرون .

الكلمة ماتت لأن ألسنتكم تركت عادة الكلام إلى عادة المؤمأة.

الكلمة؟ تريدون أن تكتشفوا ناراها؟ إذن، اكتبوا. أقول اكتبوا، ولا أقول مؤمئوا، ولا أقول انسخوا. اكتبوا - من المحيط إلى الخليج لا أسمع لساناً، لا أقرأ كلمة. أسمع تصويماً. لذلك لا ألمح من يلقي ناراً. الكلمة أخف شيء وتحمل كل شيء. الفعل جهةً ولحظةً، والكلمة الجهات كلها الوقت كله. الكلمة - اليد، اليد - الحلم

أكتشفك أيتها النار يا عاصمتي،
أكتشفك أيها الشعر،

وأغري بيروت. تلبسني وألبسها. نشرد كالشعاع ونسأل: من يقرأ، من يرى؟ الفاتوم لدايان والنفط يجري إلى مستقره. صدق الله، ولم يخطيء ماو: «السلاح عامل مهم جداً في الحرب، لكنه غير حاسم. الإنسان، لا السلاح، هو العامل الحاسم»، وليس هناك نصر نهائي ولا هزيمة نهائية.

رددت هذه الأمثال والحكم، كما يفعل العربي، في وول ستريت، حيث تصب أنهار الذهب من كل لون آتية من الينابيع. ورأيت بينها الأنهار العربية تحمل ملايين الأشلاء

ضحايا وتقدّماتٍ إلى الوثن السيد . وبين الضحية والضحية
يقهقه البحارة فيما يتدحرجون من كريزلر بيلدنغ، ليعودوا إلى
الينابيع .

هكذا أضرم لهبي ،
نسكن في الصخب الأسود لتمتلىء رثاتنا بهواء التاريخ ،
نطلع في العيون السوداء المسيجة كالمقابر لنغلب الكسوف ،
نسافر في الرأس الأسود لنواكب الشمس الآتية .

- ٤ -

نيويورك، أيتها المرأة الجالسة في قوس الريح،
شكلاً أبعد من الذرة،
نقطة تهرول في فضاء الأرقام،
فخذاً في السماء وفخذاً في الماء،

قولي أين نجمك؟ المعركة آتية بين العشب والأدمغة
الألكترونية. العمر كله معلق على جدار، وها هو التزييف في
الأعلى رأساً يجمع بين القطب والقطب، في الوسط آسيا
وفي الأسفل قدمان لجسد غير منظور. أعرفك أيتها الجثة
السابحة في منسك الخشخاش، أعرفك يا لعبة الشدي
والشدي. أنظر إليك وأحلم بالثلج، أنظر إليك وأنتظر
الخريف.

ثلجك يحمل الليل، ليلك يحمل الناس خفافيش تموت. كل
جدار فيك مقبرة. كل نهار حقار أسود
يحمل رغيفاً أسود صحناً أسود
ويخطط بهما تاريخ البيت الأبيض:

- ١ -

ثمة كلاب ترابط كالقيد. ثمة قطط تلد خوذاً وسلاسل. وفي

الأزقة المتسللة على ظهور الجرذان، يتناسل الحرس الأبيض كالقطر.

ب -

امراًة تتقدم وراء كلبها المسرج كالحصان. للكلب خطوات الملك، وحوله تزحف المدينة جيشاً من الدمع. وحيث يتكدس الأطفال والشيوخ الذين يغطيهم الجلد الأسود، تنمو براءة الرصاص كالزراع، ويضرب الهلع صدر المدينة.

ج -

هارلم - بدفورد ستويفنسنت: رملٌ من البشر يتكاثف بروجاً بروجاً. وجوه تنسج الأزمنة. النفايات ولائم للأطفال، الأطفال ولائم للجرذان. . . في العيد الدائم للثوبِ آخر: الجابي، الشرطي، القاضي - سلطة الفتك، سيف الإبادة.

د -

هارلم (الأسود يكره اليهودي)،
هارلم (الأسود لا يحب العربي حين يذكر تجارة الرقيق)،
هارلم - برودواي (البشر يدخلون رخويات في أنابيب الكحول والمخدرات).

برودواي - هارلم، مهرجان سلاسل وعصي، والشرطة
جرثومة الزمن. طلبة واحدة، عشر حمامات. العيون
صناديق تتموج بثليج أحمر، والزمن عكاز يعرج. إلى التعب
أيها الزنجي الشيخ، الزنجي الطفل. إلى التعب أيضاً
وأيضاً.

هارلم،
لست آتياً من الخارج: أعرف حقدك، أعرف خبزه الطيب.
ليس للمجاعة غير الرعد المفاجيء، ليس للسجون غير
صاعقة العنف. الملح نارك تتقدم تحت الإسفلت في خراطيم
وأقنعة، في أكداش من النفايات يحضنها عرش الهواء
البارد، في خطوات منبوذة تتلعل تاريخ الريح.

هارلم،
الزمن يُحتضر وأنت الساعة:
أسمع دموعاً تهدر كالبراكين،
الملح أشداً تاكل البشر كما تاكل الخبز
أنت الممحاة لتمحو وجه نيويورك،
أنت العاصف لتأخذها كالورقة وترميها.

نيويورك = SUBWAY + I.B.M آتياً من الوحل والجريمة

ذاهباً إلى الوحل والجريمة .
نيويورك = ثقباً في الغلاف الأرضي ينبجس منه الجنون
أنهاراً أنهاراً .
هارلم، نيويورك تُحتَضَر وأنت الساعة .

- ٦ -

بين هارلم ولنكولن ستر،
أتقدم رقماً تائهاً في صحراء تغطيها أسنان فجرٍ أسود . لم يكن
ثلج ، لم تكن ريح . كنت كمن يتبع شبحاً (ليس الوجه وجهاً
بل جرح أودمع ، ليست القامة قامة بل وردة يابسة) ،
شبحاً - (هل هو امرأة؟ رجل؟ هل هو امرأة - رجل؟) يحمل
في صدره أقواساً ويكمن للفضاء . مرّت غزالة ناداهـا
الأرض . ظهر عصفور ناداه القمر . وعرفت أنه يركض ليشهد
بعث الهندي الأحمر . . . في فلسطين وأخواتها ،
والفضاء شريط رصاص ،
والأرض شاشة قتلى .

وشعرت أنني ذرةٌ تتموّج في كتلةٍ تتموج نحو الأفق الأفق
الأفق . وهبطت أوديةً تتطاوّل وتتوازي ، وخطر لي أن أشكّ
في استدارة الأرض . . .
وفي البيت كانت يارا ،

يارا طرف أرضٍ ثانيةٍ ونيئارُ طرفٍ آخر .
وضعتُ نيويورك بين قوسين وسرت في مدينة موازية . قدامي
تمتلكان بالشوارع ، والسماء بحيرةٌ تسبح فيها أسماك العين
والظنّ وحيوانات الغيم . وكان الهدسون يرفرف غراباً يلبسُ

جسد البلبل . وتقدّم نحوي الفجر طفلاً يتأوه ويشير إلى
جراحه . وناديت الليل فلم يجب . حمل سريريه واستسلم
للرصيف . ثم رأيت يتغطى بريحٍ لم أجد أرقّ منها غير
الجدران والأعمدة . . . صرخة ، صرختان ، ثلاث . . .
وأجفلت نيويورك كضفدعٍ نصف جامد يقفز في حوض بلا
ماء .

لنكولن،

تلك هي نيويورك : تتكىء على عكاز الشيخوخة وتتنزه في
حدائق الذاكرة ، والأشياء كلها تميل إلى الزهر المصنوع .
وفيما أنظر إليك ، بين المرمري واشنطن ، وأرى من يشبهك
في هارلم ، أفكر : متى تحين ثورتك الآتية ؟ ويعلو صوتي :
حرّروا لنكولن من بياض المرمري ، من نيكسون ، وكلاب
الحراسة والصيد . اتركوا له أن يقرأ بعينٍ جديدة صاحب
الزنج علي ابن محمد ، وأن يقرأ الأفق الذي قرأه ماركس
ولينين وماوتسي تونغ .

والتفّري ، ذلك المجنون السماوي الذي أنحلّ الأرض
وسمح لها أن تسكن بين الكلمة والإشارة . وأن يقرأ ما كان
يودّ أن يقرأه هوشي منه ، عروة ابن الورد : « أقسم جسمي في
جسوم كثيرة . . . » ، ولم يعرف عروة بغداد ، وربما رفض أن

يزور دمشق . بقي حيث الصحراء كتفُ ثانية تشاركه حمل
الموت . وترك لمن يحب المستقبل جزءاً من الشمس منقوعاً
في دم غزالةٍ كان يناديهـا : حبيبتـي ! وانفق
مع الأفق ليكون بيته الأخير .

لنكولن ،

تلك هي نيويورك : مرآة لا تعكس إلا واشنطن . وهذه
واشنطن : مرآة تعكس وجهين - نيكسون وبكاء العالم .
ادخل في رقصة البكاء ، انهض لا يزال ثمة مكان ، لا يزال
دور . . . أعشق رقصة البكاء الذي يتحول إلى حمامة تتحول
إلى طوفان . « الأرض للطوفان محتاجة . . . » .

قلت البكاء وعنيت الغضب . عنيت كذلك الأسئلة : كيف
أقنع المعرّة بأبي العلاء ؟ سهول الفرات بالفرات ؟ كيف أبدل
الخوذة بالسنبلة ؟ (لا بدّ من الجرأة لطرح أسئلة أخرى على
النبي والمصحف) ، أقول وألمح غيمة تتقلد النار ؛ أقول
وألمح بشراً يسيلون كالدمع .

- ٧ -

نيويورك،

أحصركِ بين الكلمة والكلمة، أقبض عليكِ، أدرجكِ؛
أكتبكِ وأمحوكِ. حارّة باردة، بين بين. مستيقظة، نائمة،
بين بين. أجلس فوقك وأتهدد. أتقدمك وأعلمك السير
ورائي. سحقتكِ بعيني، أنت المسحوقة بالرعب. حاولت
أن آمر شوارعك: استلقي بين فخذي لأمنحك مدى آخر؛
وأشياءك: اغتسلي لأعطيك أسماء جديدة.

كنت لا أجد فرقاً بين جسدٍ برأسٍ يحمل أغصاناً نسيمه
شجرة، وجسدٍ برأسٍ يحمل خيوطاً رفيعة نسيمه إنساناً.
واختطلت عليّ الحجرة والسيارة، وبدا الحذاء في
الواجهات خوذة شرطي والرغيفُ صفيحة توتياء.

مع ذلك، ليست نيويورك لغواً بل كلمة. لكن حين أكتب:
دمشق، لا أكتب كلمة بل أقلد لغواً. دال ميم شين قاف...
لا تزال صوتاً، أعني شيئاً من الريح. خرجت مرةً من الحبر
ولم تعد. الزمن واقف حارساً على العتبة يسأل: متى تعود،
متى تدخل؟ كذلك بيروت القاهرة بغداد لغواً شاملٌ كهباء
الشمس...

شمس، شمسان، ثلاث، مئة...

(استيقظ فلانٌ وفي عينيه اطمئنانٌ يمتزج بالقلق . يترك
زوجاته وأبنائه ويخرج حاملاً بندقيته . شمس ، شمسان ،
ثلاث ، مئة . . . ها هو كالخيط مهزوماً ينزوي تحت نفسه .
يجلس في المقهى . المقهى يمتلىء بحجارة ودُمى نسميها
رجالاً ، بصفادع تتقيأ الكلام وتوسخ المقاعد . كيف يستطيع
فلانٌ أن يثور وعقله مليءٌ بدمه ، ودمه مليءٌ بالسلاسل ؟)
اسألك ، أنت من تقول لي :
أجهل العلم وأتخصّص بكيماء العرب .

- ٨ -

السيدة بروينج، يونانية في نيويورك. بيتها صفحة من كتاب المتوسط - الشرق. ميرين، نعمة الله، ايف بوئفوا. . . وأنا كمن يضيع ويقول أشياء لا تقال. كانت القاهرة تتأثر بيننا ورداً يجهل الأزمنة، وكانت الاسكندرية تختلط بصوت كفا في وسفيريس. «هذه أيقونة بيزنطية. . .»، قالت والزمن يلتصق على شفتيها عطراً أحمر. كان الوقت يحدودب والثلج يتكىء، (منتصف ليلة ٦ نيسان ١٩٧١).

ونفضت في الصباح صارخاً

قبل ساعة العودة: نيويورك!

تمزجين الأطفال بالثلج وتصنعين كعكة العصر. صوتك إكسيد، سمٌ مما بعد الكيمياء، واسمك الأرق والاختناق. سترال بارك تولم لضحاياها، وتحت الشجر أشباح جثث وخناجر. ليس للريح غير الأغصان العارية، ليس للمسافر إلا طريق مسدود.

ونفضت في الصباح صارخاً: نيكسون، كم طفلاً قتلت اليوم؟

- «لا أهمية لهذه المسألة!» (كالي)

- «صحيح أن هذه مشكلة. لكن أليس صحيحاً كذلك أن هذا ينقص عدد العدو؟» (جنرال أميركي).

كيف أعطي لقلب نيويورك حجماً آخر؟ هل القلب هو كذلك
يوسّع حدوده؟

نيويورك - جنرال موتورز الموت،

«سَبدل الرجال بالنار!» (مكنهرا) - يجفّفون البحر الذي يسبح
فيه الثوار، و «حيث يجعلون من الأرض صحراء، يسمون ذلك
سلاماً!» (تاسيت) .

ونفضت قبل الصباح، وأيقظت ويتان .

- ٩ -

وولت ويتان،

المح رسائل إليك تتطير في شوارع منهاتن . كل رسالة عربية ملأى
بالقطط والكلاب . للقطط والكلاب القرن الواحد والعشرون ،
وللبشر الإبادة :

هذا هو العصر الأميركي !

ويتان،

لم أرك في منهاتن ورأيت كل شيء . القمر قشرة تُقذف من
النوافذ ، والشمس برتقالة كهربائية . وحين قفز من هارلم طريق
أسود في استدارة قمري يتوكأ على أهدابه ، كان وراء الطريق ضوء
يتبعثر على مدى الإسفلت ، ويغور كالزراع بعد أن يصل إلى
غرينيش فيليج ، ذلك الحي اللاتيني الآخر ، أعني الكلمة التي
تصل إليها بعد أن تأخذ كلمة حُب وتضع نقطة تحت الحاء . (أذكر
أنني كتبت ذلك في مطعم فايسروي بلندن ، ولم يكن معي غير
الحبر . وكان الليل ينمو كزغب العصافير) .

ويتان،

«الساعة تعلن الوقت» (نيويورك - المرأة قهامة ، والقهامة زمن
يتجه إلى الرماد) .

«الساعة تعلن الوقت» (نيويورك - النظام بافلوف ، والناس كلاب

التجارب... حيث الحرب الحرب الحرب!.. «الساعة تعلن الوقت» (رسالة آتية من الشرق. طفل كتبها بشريانه. اقرأها: الدمية لم تعد حمامة. الدمية مدفع، رشاش، بندقية... جثث في طرقات من الضوء تصل بين هانوي والقدس، بين القدس والنيل).

ويتمان،

«الساعة تعلن الوقت» وأنا

«أرى ما لم تراه وأعرف ما لم تعرفه»،

أتحرك في مساحة شاسعة من علب تتجاوز
كسراطيين صفراء في محيط من ملايين
الجزر - الأشخاص؛ كل واحدة عمود
بيدين وقدمين ورأس مكسور. وأنت

«أيها المجرم، المنفي، المهاجر»

لم تعد إلا قبة تلبسها عصافير لا تعرفها سماء أميركا!
ويتمان، ليكن دورنا الآن. أصنع من نظراتي سلماً. أنسج خطواتي
وسادة، وسوف نتنظر. الإنسان يموت، لكنه أبقى من القبر.
ليكن دورنا، الآن. أنتظر أن يجري الفولغا بين منهاتن وكوينز؛
أنتظر أن يصب هوانغ هو حيث يصب الهدسون. تستغرب؟ ألم
يكن العاصي يصب في التير؟ ليكن دورنا الآن. أسمع رجّة

وقصفاً. وول ستريت وهارلم يلتقيان - يلتقي الورق والرعد،
 الغبار والعصف. ليكن دورنا، الآن. المحار يبني أعشاشه في
 موج التاريخ. الشجرة تعرف اسمها. وثمة ثقب في جلد
 العالم، شمسٌ تغيرُ القناعة والنهية وتتحب في عين سوداء.
 ليكن دورنا، الآن نقدر أن ندور أسرع من الدولاب، أن نحطم
 الذرة ونسبح في دماغ إلكتروني باهت أو متلائي، فارغ أو مليء،
 وأن نتخذ من العصفور وطناً. ليكن دورنا، الآن. ثمة كتاب أحمر
 صغير يصعد. لا الخشبة التي اهترأت تحت الكلمات بل هذه التي
 تتسع وتنمو، خشبة الجنون الحكيم، والمطر الذي يصحولكي
 يرث الشمس. ليكن دورنا، الآن. نيويورك صخرة تتدحرج
 فوق جبين العالم. صوتها في ثيابك وثيابي، فحمها يصبغ
 أطرافك وأطرافي. . . أستطيع أن أرى النهاية، لكن كيف أقنع
 الزمن لكي يبقيني حتى أرى؟ ليكن دورنا، الآن. وليسبح الزمن
 في ماء هذه المعادلة:

نيويورك + نيويورك = القبر أو أي شيء يجيء من القبر،
 نيويورك - نيويورك = الشمس.

- ١٠ -

في الثمانين أبدأ الثامنة عشرة. قلت هذا أقول وأكرّر ولم تسمع
بيروت.

جثة هذه التي توحد بين البشرة والثوب

جثة هذه المستلقية كتاباً لا حبراً

جثة هذه التي لا تسكن في صرف الجسد ونحوه

جثة هذه التي تقرأ الأرض حجراً لا نهراً

(نعم أحبّ الأمثال والحكمة، أحياناً

إن لم تكن مُهيماً، تكن جثة!)

أقول وأكرّر،

شعري شجرة وليس بين الغصن والغصن، الورقة والورقة إلاّ

أمومة الجذع

أقول وأكرّر،

الشعر وردة الرياح. لا الريح، بل المهبّ، لا الدورة بل المدار.

هكذا أبطل القاعدة، وأقيم لكل لحظة قاعدة. هكذا أقترّب ولا

أخرج. أخرج ولا أعود. وأتجه نحو أيلول والموج.

هكذا، أحمل كوباً على كتفيّ وأسأل في نيويورك: متى يصل

كاسترو؟ وبين القاهرة ودمشق أنتظر على الطريق المؤدي...

... التقى غيقاراً بالحرية. تغلغل معها

في فراش الزمن وناما . وحين
استيقظ لم يجدها . ترك النوم
ودخل في الحلم ،
في بيركلي، في بيروت وبقية الخلايا ، حيث يتهاى كل شيء ليصير كل
شيء .

هكذا ،

بين وجه يميل إلى الماريجوانا تحمله شاشة الليل ،
ووجه يميل إلى الآي بي إم تحمله شمس باردة ،
أجريت لبنان نهراً من الغضب ، وطلع جبران في ضفة وطلع
أدونيس في الضفة الثانية .

وخرجت من نيويورك ، كما أخرج من سرير :
المرأة نجمة مطفأة والسرير ينكسر أشجاراً بلا فضاء ، هواء يعرج ،
صلياً لا يتذكر الشوك

والآن ،

في عربة الماء الأول ، عربة الصور التي تخرج أرسطو وديكارت
أتوزع بين الأشرفية ومكتبة رأس بيروت ، بين زهرة الإحسان
ومطبعة حايك وكمال ، حيث تتحول الكتابة إلى نخلة والنخلة إلى
قامة .

حيث تتناسل ألف ليلة وليلة وتختفي بينة وليلى

حيث يسافر جميل بين الحجر والحجر، وما من أحدٍ يحظى بقيس .
لكن،

سلامٌ لوردة الظلام والرمل
سلامٌ لبيروت .

(نيويورك ٢٥ آذار - بكفيا ١٥ أيار ١٩٧١) .

الفهرس

٧	مقدمة لتاريخ ملوك الطوائف
٢٥	هذا هو اسمي
٤٧	قبر من أجل نيويورك

من منشورات دار الآداب

مجموعات الشاعر

- قصائد أولى، الطبعة الأولى ١٩٥٧.
- أوراق في الريح، الطبعة الأولى ١٩٥٨.
- أغاني مهيار الدمشقي، الطبعة الأولى ١٩٦١.
- كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل، الطبعة الأولى، ١٩٦٥.
- المسرح والمرايا، الطبعة الأولى، ١٩٦٨.
- هذا هو اسمي (وقت بين الرماد والورد)، الطبعة الأولى ١٩٧١.
- مفرد بصيغة الجمع، الطبعة الأولى ١٩٧٥.
- المطابقات والأوائل، الطبعة الأولى ١٩٨٠.
- كتاب الحصار، الطبعة الأولى ١٩٨٥.
- احتفاء بالأشياء الغامضة الواضحة، الطبعة الأولى ١٩٨٨.